Critique of the Centrals in Nietzsche's Philosophy

Riyam Mohammed Dahir
reyam.moh.da@gmail.com
Asst. Ali Abboud Al- uhammadawi
University of Baghdad - College of Arts - Department of Philosophy

DOI: 10.31973/aj.v3i137.1688

Abstract:

Nietzsche's criticism, or his rejection of the previous philosophies, is a separating point between contemporary philosophy and the philosophies that preceded it, meaning that Nietzsche's criticism of Greek philosophy, Christianity, contemporary as well as modern, and his criticism of the prevailing values at that time (moral and religious) which he launched On it Nietzsche (slave ethics), critiqued and Nietzsche replaced traditional values (Christian values) that express human submission to God, with creative values in which they are superior to the status of the human self. To prove the human being, that is, Nietzsche rose up against religion, especially Christianity, and criticism of traditional metaphysics.

Key words: religious thought, Christian faith, manners and slaves' ethics.

نقد المركزيات في فلسفة نيتشه

الباحثة: ريام محمد ظاهر **أ.م.د. علي عبود المحمداوي**
جامعة بغداد– كلية الآداب– قسم الفلسفة **جامعة بغداد– كلية الآداب– قسم الفلسفة**
reyam.moh.da@gmail.com

(مُلَخَّصُ البَحث)

نقد نيتشه، أو رفضه الفلسفات السابقة عليه، هو بمثابة نقطة فاصلة بين الفلسفة المعاصرة وبين الفلسفات التي قبلها، بمعنى إن نيتشه نقد الفلسفة اليونانية، والمسيحية، والمعاصرة، وكذلك الحديثة، وقد تمثل نقده بقلبه للقيم السائدة في ذلك الوقت (الأخلاقية والدينية) والتي أطلق عليها نيتشه (أخلاق العبيد)، أذ نقد واستبدل نيتشه القيم التقليدية(القيم المسيحية)التي تعبر عن خضوع الإنسان لله، بالقيم الإبداعية التي أعلى فيها من شأن الذات الإنسانية، حيث انتفض نيتشه بوجه كل علم أخلاقي يقوم على الضعف والاستبداد بعلم أخلاقي يمنح القيمة العليا لإثبات الإنسان، إي أن نيتشه انتفض بوجه الدين وخاصة المسيحي ونقد الميتافيزيقا التقليدية.

الكلمات المفتاحية: الفكر الديني، العقيدة المسيحية، أخلاق السادة والعبيد.

نقد المركزيات في فلسفة نيتشه

أولاً. نقد الفكر الديني:

لا يدين نيتشه بأي عقيدة من العقائد المعروفة ولا بأية دين من الأديان فهو يوجه اشد الانتقادات لها، فهو يرى بأن الروح الدينية تفتقر إلى فهم قوانين الطبيعة، فعلى الرغم من ذلك نقول أن نقد نيتشه للقيم الدينية متجه قبل كل شيء إلى فكرة العقيدة بصورة عامة وتفكير المؤمن الغير قانوني(مصطفى، ١٩٨٨).

أوضح نيتشه، بان الدين يظهر نتيجة الخوف والحاجة، التي يتحلى بها الإنسان، وهذا دائماً ما يوجد لدى الطبقات الدنيا من المجتمع، أي الضعفاء والمتخلفون في المجتمع، وما يصطلح تسميتهم العبيد، أذ يرى نيتشه بأن "أغلب الديانات لم تظهر في الطبقات المركزية الغربية بل ظهرت وسط هذه الطبقات الضعيفة وطبقات العبيد أو ما تسمى الأرستقراطية، فهو يرى أن الدين لم يحتو على حقيقة أبداً، لا بشكل مباشر أو غير مباشر، لا على شكل ركن من أركانه، ولا على شكل حكمة، لأن الدين إنما يولد من الخوف ومن الحاجة، وقد أنسل إلى داخل الوجود من خلال سبل العقل التائه هذا العقل القائم على الإيمان على الفطرة "(فريدريك، ٢٠١٤).

يرى البعض أن الأيمان بالإله أو الدين هو فطرة موجودة في الإنسان منذ الولادة فان نيتشه يرى "أن الفطرة الدينية بائسة، بداء خوفهم من تلك الفطرة التي تتوجي من أن يدرك المرء حقيقة ما يعيشه قبل فوات الأوان، ومع ذلك فانه هناك اتصال مع الله هو الصلاة، أي الاستعداد الدائم المجيء الله، إي انه يرى في هذا الاتصال ابتعاد الإنسان عن عالمة وحياته التي يعيشها بشكل طبيعي، فهي تبعده عن الواق، وهذا يرفضه نيتشه رفضاً قاطعاً، فهوى يرى أن الإنسان قد تخلى عن هذه الفطرة وخاصة الدول الأوربية، فقد وصفة الحب القريب حب الإنسان لله، حب كرما لله هو انبل وانقى أنواع الحب بالغة بنو البشر، يرى أن حب الأنسان دون أي قصد مقدس هو حماقة وبهيمة"(فريدريك، ٢٠١٥)

لقد شن نيتشه على الأفكار الدينية حملات نقدية قويه، فقد كان يعد الروح الدينية ظاهرة منحرفة، وقد أدعى إلى استبدال النظرة طبيعية بالنظرة الدينية غير العلمية، وعلى الإنسان حسب قوله أن يعمل على أعادة الثقة التامة الكاملة إلى الإنسان بذاته، وبذلك لا يحتاج إلى الوحي والدين، فما هو ألا عقبة تحول دون شك بين بناء ثقة الإنسان بنفسه والسلطة الدينية، التي تجعله في احتياج دائم أليها، فلا جدوى كما يرى نيتشه من وجود قوة هائلة تفوق قوة وقدرة البشر، ولا داعي إلى ومبرر من وجود الروح الخيالية التي ملائها الدين والوحي وعلى

ذلك سعى فيلسوفنا دائماً إلى رفع من شأن الإنسان وقدره باعتباره ارفع الموجودات قدراً (مصطفى،١٩٨٨).

يسعى الدين ككل في نظر نيتشه إلى الانحطاط بالقدرة التي يملكها الإنسان والثقة الكاملة، والقوة التي في داخله فهو لا يساعد في زيادة الثقة ودعمها، إعطاء الإنسان الصلاحية الأكبر في التفكير والأبداع مما يجعل منه قوي بشكل كافي، على العكس من العقائد اليونانية التي كانت في نظره ارفع واسمى من الدين، أذ تعطي للإنسان القدر الكافي من الحرية، ولم تقف وتعترض على قوة الطبيعة، وأما المسيحية واليهودية فكانت على العكس تماما فقد حجمت من قدرة العقل وجعلته ثانوي مقابل وجود مرجع وقوة اعلى منه، وذلك لان المسحيين لم يستخدموا العقل في الوصول إلى الحقيقة والمعرفة من اجل التطور بل استخدموا المشاعر والأحاسيس في ذلك، وان كان اليونان مدينون بدين التعدد (مصطفى، ١٩٨٨).

ثانياً. النقد الفلسفي للعقيدة ومقولاتها:

لقد وجه نيتشه إلى الدين نقداً عنيفاً ولاذعاً، فقد وقف وجهاً لوجه ضد المسيح، ممثلاً الدعوة الإيجابية إلى الحياة في مقابل الدعوة السلبية التي تمثل التخلي عن الحياة(قيس، ٢٠٠٠)، فقد شكلت المسيحية عقدة لازمت نيتشه منذ ولادته حتى مماته، أذ أن نيتشه لم يترك مؤلفا من مؤلفاته ولم يذكر المسيحية فيه، فقد كان نقده للمسيحية نقد مبني على أساس ألغاء الثقافة التي تدخل في جميع مفاصل الحياة الغربية، أذ أن نيتشه وجه اشد نقده وغضبه إلى المسيحية، عدها مصدر الانحطاط والتخلف، واعتبرها سرطان قد أصيب به المجتمع الغربي في جميع العصور وصلاً إلى المعاصرة(عبد الله،٢٠١٢).

إن الدين المسيحي هو نظام رؤية شاملة ومتماسكة للأشياء، وغايته النقدية كانت موجهة إلى الإنسان، استطاع وحده فهم المفاهيم المسيحية، فان فكرته الأساسية هي الأيمان بالله تقوم على هدم البناء الصريح في لحظة واحدة، فلا يبقى إي شيء له لزوم، أذ أن المسيحية تفترض بان الإنسان لا يعلم ولا يستطيع أن يعلم إي شيء سوى انه يؤمن بالإله الذي وحده يعلم كل شيء(فريدريك، ١٩٩٦).

يذكر نيتشه في مؤلفه ((نقيض المسيح))، "أن المسيحية هي خالية من الغايات المقدسة المسؤولة عن الجريمة الكبرى ضد الحياة فقد اعلن نيتشه حرب إبادة ضدها ويزعم كشف رذائلها ورهبنتها، التي تقف حجر عثرة ضد الانتقاء الطبيعي والذات الإنسانية؛ فان الوسائل المسيحية ينقصها الغايات المقدسة، ذلك لا نها غاية رديئة تسميم، وافتراء للحياة، واحتقار للجسد، وحط وتحقير لذاتي لنفس، فكانوا يحكمون الشعب ويسودونه" (فريدريك، ٢٠١١).

أن مفهوم الاله عند المسيحي هو انه هناك اله خاص، هذا الاله يحتل مرتبة متفوقة من الفضائل هذه الفضائل تجعله يشعر بالقوة، وأن مفهوم الإله الرحيم، الذي يعطف على المرضى ويرفق بالإنسان الضعيف هو واحد من المفاهيم الأكثر فسادا على وجه الأرض ينبغي استحداث تصور جديد للإله، نيتشه يدعو بصريح العبارة إلى الاعتقاد بوجود إله شرير قوي دموي إله ضد الطبيعة (فريدريك، ٢٠١١).

يوضح نيتشه في كتابه (نقيض المسيح) أن هناك أوجه تشابه بين المسيحي والفوضوي، أذ أن كليهما يتجهان إلى التدمير، بما أن التشريع الديني يتمثل بالشرط الأرقى لازدهار الحياة ولتثبيت وتخليد النظام الاجتماعي، ألا أن المسيحية جعلت رسالتها هي أبادة هذا النظام، وان المسيحي والفوضوي، كلاهما منحطان، وعاجزان عدا انهما يفعلان أفعال هدامة، ولكلاهما صورتان لغريزة العداوة القاتلة ضد كل ما هو عظيم، فكلاهما ضد الديمومة والحياة، فقد كان ذلك واضحاً عندما قامت المسيحية بتدمير وهدم الإمبراطورية الرومانية، وما أنجزته من الرومان من أعمال هائلة، فقد كانت روما منذ زمن بعيد وحتى الأن تعرف بقوتها وعظمتها ألا أنها لم تكن قادرة على الصمود في وجه المسيحية التي تعتبر اكثر الفساد فساداً وقد عرفت بمصاصي الدماء (فريدريك، ٢٠١١).

تعد المسيحية براي نيتشه "محاربة للنزوات فهي لم تكتف بمحاربة الحياة والأنسان، بل حاربت الغرائز والشهوات التي يحيا عليها الإنسان، فهي حاربت النزوات ببترها بكل معنى الكلمة فمن يمارس هذه الأمور يعد من وجهة نظر المسيحية الكنسية كمرتكب الخطيئة الخطيرة على الحياة، وهذا في نظر نيتشه يمثل مهاجمة الحياة واقتلاعها من الجذر، فان نيتشه ينتظر من الكنيسة حرب ضد النزوات، فقد أدت في تربيتها دائماً على استئصال الشبقية، الكبرياء، أرادة الامتلاك، الجشع، والرغبة في الانتقام لذا فهو يرى إن مهاجمة النزوات من الجذر يعني مهاجمة الحياة من الجذر، أن الكنيسة معادية للحياة " (فريدريك، ١٩٩٦).

تؤمن المسيحية بالمساواة بين الناس جميعاً، إما نيتشه فيرى أن المساواة تتعارض مع الطبيعة الحياة والواقع، لان المجتمع ولاسيما المسيحي يقوم على الطبقية، ففي المجتمع هناك القوي والضعيف، وهناك السيد والعبد، وهناك الغني والفقير، فان نيتشه عندما نقد المساواة المسيحية يرى أن ((تساوي الأنفس أمام الله))، عبارة زيف، هذا التبرير الذي يبرره الضاغنين الأكثر حطة ومنزلة للقيمة، هذا المفهوم ذو الطابع الانفجاري الذي تحول أخيراً إلى ثورة، والفكرة الأساسية والحديثة لكل نظام اجتماعي هي الديناميت المسيحي (فريدريك، ٢٠١١)

تقف المسيحية موقف مناقض من العقل السليم في التكوين، فان العقل المريض هو وحدة الذي يصلح في عينيها أن يكون عقلاً مسيحياً، فالمسحية تناصر كل ما هو سخيف، وتعلن لعنتها على العقل السليم، لان المرض مكون من مكونات العقل المسيحي، فان المسيحية ترى أن ما يجعل الإنسان مريضاً فهو خير، وكل ما يأتي من الامتلاء والزخم ومن القوه فهو شر(فريدريك، ٢٠١١)، وسنناقش تبعاً نقد نيتشه لمقولات العقيدة المسيحية:

أ. موت الاله :

يرى نيتشه أن فكرة (موت الاله) حدث من اعظم أحداث العصور الحالية، فهو يعني زعزعة الاعتقاد في الاله المسيحي بعد أن لقى هذا الحادث بظلاله في أوربا، فهو يعني أن موت الاله يعني أن الحياة الإنسانية لم تعد لها أيه جذور أو خلفية ترتكز عليها، فهي حرمت من الأمان الإلهي (صفاء، ١٩٩٩).

أعلن نيتشه أن "مفهوم الله هو أكبر اعتراض ضد الوجود، ولكن حتى هذه المقولة، التي تبدو محررة من أسر الدين، تبقى في انسجام مع توجهه اللاأخلاقي، لأنها عدوة للإنسانية، وتتملص من واجبات الإنسان تجاه أمثاله، وتنكر وجود أي معيار يفرق بين العمل الخيّر والشرير، بين الفعل الصالح والطالح الأشياء جميعها تتساوى في ذاك الكل اللا متميز، حيث تغيب الرحمة والمسؤولية والواجبات الأخلاقية ويصبح كل شيء مباحا نحن ننكر وجود الله، ننكر المسؤولية في الله هكذا فقط نخلص العالم" (فريدريك، ١٩٩٦).

يعد مفهوم "الإله الرحيم المسيحي، الذي يعطف على المرضى ويرفق بالإنسان الضعيف هو واحد من المفاهيم الأكثر فسادا على وجه الأرض. ينبغي استحداث تصور جديد للإله، نيتشه يدعو إلى الاعتقاد بوجود اله الشر ضد الطبيعة، والحياة، و أرادة الحياة، فهو اله العدم، اله الانحطاط فيه كل أرادة العدم القداسة" (فريدريك،٢٠١١)، ويرى نيتشه انه هناك علاقة عكسية بين الدين والحياة، فالدين هو السبب في احتقار الإنسان للحياة وليس الإنسان نفسه(فريدريك) . لذلك يقر نيتشه بان فكرة الله تعبر عن العدم، فهي تحط من قيمة الحياة فهو يرى: " تعد فكرة الله عن أرادة العدم، وعن الحط من قيمة الحياة، حيث لا مركز من ثقل الحياة في الحياة، بل في الأخر في العدم، نكون نزعنا من الحياة مركز ثقلها لكن الحط من قيمة الحياة وكرهها بمجملها، يؤدي إلى تمجيد للحياة الارتكاسية" (جيل، ١٩٩٣).

القضايا النظرية تستخدم فكرة الله من وجهة نظر شكلها، ليس الله موجوداً، أو هو موجود، بقدر ما تستتبع فكرته التناقض، لكن صيغة((الاله مات)) ذات طبيعة مختلفة تماماً. أنها تجعل وجود الاله يتبع تأليفاً، تقوم بتأليف فكرة الاله مع الزمن، مع الصيرورة، مع التاريخ، مع الإنسان. تقول في أن واحد لقد وجد الاله ومات وسوف يبعث حياً، صار الاله إنساناً والإنسان صار الاله (جيل، ١٩٩٣).

أذ يذكر نيتشه أن الناس الذين يريدون أن يحلو محل الاله يسميهم (بالناس المتفوقين) فهم يحملون القيم الإنسانية، ويعتقدون بانهم عثروا على واقع الأمر(جيل، ١٩٩٨)، ولم يقصد نيتشه من موت الاله من منظور ديني، وإنما يتناول الفكرة تحت قناع كلمة(اله) العلاقة بين الفكرة الأنطولوجيا والمثل الأخلاقي الأعلى، وان نيتشه عندما يتكلم عن الاله إنما يتكلم عن صيغة من صيغ الأنطولوجيا، كما أن عنفه وحربه على المسيحية ينجم عن فكرة الوجود(صفاء، ١٩٩٩).

ب. الشفقة:

الشفقة هي التسامح مع حالات الحياة القريبة من الصفر، وهي حب الحياة، لكن الحياة الضعيفة، والمريضة، و الارتكاسية، لما كانت مناضلة، فهي تبشر بالانتصار النهائي للفقراء، والمعذبين، والعاجزين، والصغار، وبما أنها إلهية، تعطيهم هذا النصر، إما الأشخاص الذين يشعرون بالشفقة إنهم بالضبط أولئك الذي لا يتسامحون مع الحياة إلا حين تكون ارتكاسيه، أولئك الذي يحتاجون إلى هذه الحياة وإلى هذا الانتصار، أولئك الذين يقيمون هياكله على الأرض المليئة بالمستنقعات، الخاصة بحياة كهذه، أولئك الذين يكرهون كل ما هو فاعل في الحياة، أولئك الذين يستخدمون الحياة لينفو الحياة ويحطون من قيمتها، تدل الشفقة دائماً، في رمزية نيتشه، على هذا المركب من ((إرادة العدم والقوى الارتكاسية))، الشفقة هي ممارسة العدمية، الشفقة تقنع العدم لا يقال العدم، بل توضع محله الآخرة، أو الله، أو الحياة الحقيقية، أو الخلاص، أو الغبطة، هذه البلاغة البريئة، التي تدخل في ميدان المزاج الديني والأخلاقي، وتظهر في الكلمات السامية، كراهية الحياة(جيل، ١٩٩٣).

إذ تدعو المسيحية إلى الشفقة والرحمة، فالشفقة تأثير كئيب على الإنسان، أذ أنها تفقده قواه، فتسري به المعاناة كالوباء وتؤدي أحياناً إلى افتقاد الحياة وطاقتها، ذلك لا نها تدافع عن الحياة المحرومة والحقيرة لصالح الأنواع العليا التي تسعى للحفاظ على حياتها وهي بذلك تضفي للحياة مظهراً كئيباً(صفاء، ١٩٩٩).

من باب أخر أن "الشفقة تروي بطريقة أخرى، حيث تسببت الشفقة بموت الله، إي مات الله من الشفقة، أذ يرى نيتشه: تارة يصور هذا الموت عرضياً، الله الطاعن في السن والمرهق والضجر من الإرادة، ينتهي يوماً ما إلى الاختناق والموت بسبب شفقته المفرطة"(جيل،١٩٩٣).

الشفقة من وجهة نظر نيتشه، بانها العدمية العملية أو ممارسة العدمية، وهي الغريزة الكئيبة التي تحبط الغرائز الأخرى، وتحبط سعيها للحفاظ عن قيمة الحياة، وهي احد الوسائل الأساسية، التي تؤدي إلى التدهور والعدم، حيث يرى نيتشه أن الشفقة في الأخلاق النبيلة تعبر عن الضعف، وان شوبنهاور محقاً عندما رأى أننا ننكر الحياة ونجعلها خليقة بهذا

الأنكار عندما نشعر بالشفقة(صفاء،١٩٩٩)، ويعد هجوم نيتشه على المسيحية، بسبب أن المسيحية دين الشفقة، وذلك لان الشفقة تعبر عن انفعال كئيب يوهن حياتنا، ويخرس الصوت السامي للحياة ويؤدي إلى الضعف والإنهاك، فا الاله هو اله المريض الذي يعارض كل الدوافع الطبيعية في الحياة الرفيعة السامية(صفاء، ١٩٩٩).

ج. الخطيئة :

يرى نيتشه أن مفهوم الخطيئة جاءت به المسيحية، فان فكرة الخطيئة تعتبر احدى المهارات المسيحية، التي تعلم المرء أن الإنسان بشكل عام، دنئ وسافل، ومهما ارتكب من خطيئة فانه لا يختلف في جوهره عن المسيح الذي يقول أنا الدنيء المزدرى على كل المستويات، هذا ما يقوله المسيحي عن نفسه، فالمسيحي لا يؤمن بسفالته الفردية فهو خبيث بما هو إنسان بشكل عام(فريدريك، ٢٠١٤)

حيث يذكر نيتشه في كتابة (زرادشت) عن مفهوم الخطيئة لقد عرفتم جل المعرفة أولئك المتجلين على صورة الله ومثاله. فتيقنت أن جميع رغباتهم تتجه إلى أن يؤمن الناس بهم، وان يصبح كل شئ فيهم خطيئة، ولا فان مدركي ذلك الأيمان الذين يعون إلى الرسوخ فيه، فانهم لا يؤمنون ألا بالعوالم الأخرى، ولا بقطرة دماء يفتدي العالم، بل هم كسائر يعتقدون بالجسد، ويرون أن أجسادهم نفسها هي الكائن الواجب الوجود(فريدريك، ١٨٨٣).

وانطلاق نيتشه من الخطيئة التي جاءت بها المسيحية، والمنهج الأخلاقي الذي يحكم العالم انطلاقاً من المثل الأعلى للخليقة وهو الله، فان نيتشه يعلن تبنيه الاتجاه المعاكس للتوجه المسيحي بمعنى المنحنى اللاأخلاقي للحياة، بأبطال مفهوم الخطاء، ومفهوم العقاب الذي يجعل الإنسان المسيحي ضعيف رهين الخطيئة، و مكفرا عنها(فريدريك، ١٩٩٦).

ثالثاً. النقد الفلسفي لأخلاق الضعفاء:

يعد نيتشه من أهم نقاد الفكر الأخلاقي، أذ قدم مراجعة كبيرة لتراث القيم والحق، انه لا توجد في العالم قضية تستحق الاهتمام الكبير غير القضية الأخلاقية' لذلك وقف نيتشه موقف الناقد بوجه كل القيم الأخلاقية، ولذلك طالب بإعادة النظر فيها، لأنها لم تعد صالحة في الاتجاه العام، ولا تفي بمطالب الإنسان الحديث، لان نيتشه قد عدها قديمة وبالية في مبادئها العامة، أي أنها لم تعد فعالة في توجيه الإنسان نحو المثل العليا(مصطفى، ١٩٨٨)،لذلك هاجم نيتشه تحول إلى اصل الأخلاق بالذات، "فهو يحمل على تلك المذاهب الفلسفية التي تبنت مفهوم الفضيلة، أذ يقول كيف اخترتم الفضيلة والأحاسيس المتحمسة، وتطمعون، في الأن ذاته، في الامتيازات الأقل تشككاً، لكن اختيار الفضيلة يتخلى عن كل الامتيازات"(فريدريك، ١٩٩٦) .

أن الفكرة الأساسية في الأخلاق عند نيتشه هي إرادة الحياة، وهي تعني إرادة القوة، جاءت هذه الفكرة نتيجة نظرية التطور الدارونية، أذ استخلص نيتشه من هذه النظرية نتيجتها الحتمية في الأخلاق، فيستخلص، من هذه النظرية أن الحياة أنما هي تنازع على البقاء، والبقاء للأصلح عندئذ تكون الفضيلة هي القوة الأساسية، والضعف هو النقص (ول ديو رنت، ١٩٨٨).

يقوم منهج نيتشه الأخلاقي على ثلاث خطوات: تتمثل الأولى في إقامة تصنيف عام الأخلاق التي أصدرت عن الشعوب في الماضي، وبذلك يضع لها تاريخاً عاماً، يتيح لنا في هذا التصنيف أمكانية تفسير الوقائع الأخلاقية ومدلولاتها. إما الخطوة الثانية فتتمثل في التعرف على من يملك هذه الأخلاق، والكشف عن الصلة بين طبائعهم وأحوالهم وبين القيم الأخلاقية المتعددة لديهم. أما الخطوة الأخيرة فتتمثل في الحكم على الأصناف الأخلاقية واحد تلو الأخر، ومن خلال هذا المنهج نتمكن من معرفة أي الطبائع الأخلاقية أو القيم هي الأكثر قدرة على البقاء وبتالي الارتفاع بأصحابها والسمو بهم إلى مراتب اعلى(عبد الرحمن، ١٩٨٤).

أول نتيجة استخلصها نيتشه باستخدام هذا المنهج هي أنه رأى أن الأخلاق متنوعة ومتعددة، ولكل نوع منها ميزة وطابع خاص بها وان السبب في هذا التنوع إنما تعود إلى مصادرها في الأصل متعددة، فنحن نعلم أن الإنسان هو مصدر الأخلاق والواضع لقيم الأخلاق بطبيعة الحال، وان الأناس مختلفون ولكل منهم نظرة مختلفة ورأي مختلف نشأة عنه قيمهم الأخلاقية، وينبغي لنا التفرقة بين الفعل والحكم الأخلاقيان، فالحكم بصورة عامة غالباً ما يتبع دوافع الإنسان الداخلية وما يأثر علية، وهناك أنواعاً عدة من الأخلاق، وأن لكل نوع يميزه، وأن هذا الطابع الخاص إنما نشأ عن كون مصادر الأخلاق عديدة، وأن المعايير والقيم الأخلاقية يخلقها أناس مختلفون، ثم إنه يجب التفرقة بين الفعل الأخلاقي، وبين الحكم الأخلاقي. فالحكم الأخلاقي على الأفعال غير ثابت، ومختلف باختلاف الناس، وله دوافع عدة تؤدي إلى إصداره على النحو الذي يصدر عليه، وهنا يحمل نيتشه على كل الأحكام الأخلاقية التي أصدرتها الإنسانية، مبيناً في تحليل دقيق الينابيع التي منها استقيت هذه الأحكام، كاشفاً عن المصادر الحقيقية القوية معاً التي تصدر عنها، فاضحاً الأوهام التي وقعت الإنسانية في أحابيلها حتى الآن، والتي أوقعت هي نفسها فيها عن طريق الغالبية العظمى منها، وهي الطبقة المنحطة(عبد الرحمن، ١٩٨٤).

انتهت نظريته المشهورة في التفرقة بين نوعين من الأخلاق، أخلاق السادة، وأخلاق العبيد، أي الأخلاق التي كان مصدرها الممتازين من الإنسانية، والأخلاق التي كان مصدرها رعاعها والطبقات المنحطة فيها. قال نيتشه: وفي أثناء رحلاتي التي قمت بها خلال أنواع

الأخلاق الرفيعة أو الوضيعة التي سادت العالم، والتي لا زالت تسوده حتى اليوم، لاحظت وجود عدة صفات معينة بدت مقرونة بعضها ببعض، وظهرت دائما في وقت واحد، حتى إني استطعت أن اكتشف وجود نوعين رئيسيين من الأخلاق مختلفين اختلافا جوهريا : فهناك أخلاق للسادة، وأخرى العبيد، وذلك لأن تحديد القيم الأخلاقية قام به: إما جنس السادة المسيطرين الشاعرين شعورا كاملا والفخورين بوجود مسافة طويلة تفصل بينهم وبين الجنس المسود المغلوب، أو قام بهذا التحديد جماعة الأتباع والرعية والعبيد المنحطين من كل الأنواع، إذن ترجع الأخلاق في مجموعها إلى طابعين أو صنفين رئيسيين: أخلاق السادة، وأخلاق العبيد(عبد الرحمن١٩٨٤).

أ. أخلاق السادة والعبيد:

يوجد هناك تقديرات متناقضة للسلوك الإنساني في الأخلاق، أخلاق السادة (الطبقة الأرستقراطية)، أخلاق العبيد(الطبقة العامة) المتمثلة بالزهد، أن الفضيلة الأساسية للإنسان الروماني العادي تني الرجولة وهذه متمثلة(بأخلاق السادة)، إما أخلاق العبيد انحدرت من قارة أسيا بالضبط، من اليهود أيام الخضوع السياسي، الذي يولد الذل، الضعف، العجز، وينتج طلب المساعدة من الغير(ول ديو رنت، ١٩٨٨)

فاطلق العجز أحياناً (أحساناً وطيبة)، وسمي عدم قدرته على رد الفعل مباشر بالمثل(صبراً)، ويعد هذا الصبر من أمهات الفضائل، ويسمى حاجته إلى الأخرين عجز عن الاعتماد عن نفسه (رحمة) ويسمى عجز عن ادراك المطامع السلمية والبحث عن المطالب العالمية (تواضعاً) هكذا تجده يهدر القيم الصالحة النبيلة، ويضع مكانها قيمة تدا على الضعف والذل والعجز والخنوع، حيث يعارض نيتشه القيم العليا فينظره بما تدل علية الأرستقراطية من قيم (شريرة) : فيقول: أن البائسين وحدهم الأخيار، والفقراء والعاجزين والحقراء وحدهم الصالحون، أما الذين يتألمون ويتعذبون هم المرضى والمعوزة، والمشوهون هم وحدهم الأبرار الذين أدركهم الله(عبد الرحمن١٩٧٥).

ومن هنا يتجلى صراع القيم: الصراع بين قيم السادة، وقِيم العبيد. إن العلاقة بين النبلاء والعبيد، تتخذ شكل الازدراء والسخرية والعبودية، فالأرستقراطي من حيث المبدأ، يزدري هذه المنطقة التي لا يعرفها، بل يتعالى على معرفتها، لأنها منطقة الإنسان العادي، الذي يفتقر إلى ما يتصف به هو من نبل وقوة زاخرة، وقد نشأ بين هاتين القوتين المتعارضتين، صراع في التاريخ، عبر عنه نيتشه بصراع روما ضد يهودا، ويمثل النموذج الكهنوتي بشكليه اليهودي والمسيحي، الفاعل الأكبر الذي قاد هذه المسيرة ولا يزال يقودها، حيث يستخدم الأساليب الترويضية، لتدجين الإنسان، وإفساده وإفساد الذوق معه، من خلال تعزيز الحقد لدى طبقة الرعاع. وبهذا تتغير القيم بدافع من حقد العبيد على سادتهم، ورغبتهم

البائسة في الانتقام، وعن هذا تنشأ المثل العليا الهزيلة التي تجعل من الضعف فضيلة، ومن العجز عن الانتقام عزوفا عن ارتكاب الشر، وهذا ما جعل نيتشه يفسر تاريخ الأخلاق من خلال فكرة الضغينة، أي بوصفه تاريخا تتميز فيه أخلاق السادة عن أخلاق العبيد(توفيق).

المنهج الذي يستخدمه نيتشه في تحليله لقيم العبيد، ستخدم نيتشه المنهج النفسي ليتجه به إلى البحث في الأعماق، في المكان الذي يكون مصنعا للقيم، وأول ملاحظاته، أن أخلاق النبلاء لا تحتاج في إثبات ذاتها إلى نفي غيرها، لأنها تشتق قيمها من شعورها بالتميز، وبذلك فهي قوى فاعلة، في حين أن أخلاق العبيد، تأتي من نفي غيرها، وبذلك فمصدرها الحقد، وهي عبارة عن رد فعل وليست فعل، يقول نيتشه: "يبتدئ تمرد العبيد في الأخلاق عندما يصبح الحقد نفسه خلاقا إلى حد توليد القيم: حقد هذه الكائنات التي تتعذر عليها الاستجابة الحقيقية، أي استجابة الفعل لا استجابة رد الفعل، والتي لا تجد التعويض عن هذا التعذر إلا في عملية انتقام خيالية" (فريدريك، ١٩٩٣).

ثم يقوم نيتشه في كشف النقاب عن خداع تلك القِيم، فيقول: أن العطف على القريب من خلال تزويق الكلام، ما هو إلا أنانية مضللة، "لأنكم تلجئون للقريب هربا من أنفسكم، وتريدون أن تعدوا هذا العمل فضيلة"(فريدريك ، ١٨٨٣)فمن الناس من يهرع إلى جاره ليفتش عن نفسه، ومنهم من يذهب إليه لينساها، وذلك خوفاً من العزلة والانفراد، الذي يمثل سجناً للإنسان، ويعدد نيتشه سمات أخلاق العبيد، ويكشف عنها النقاب الخادع، والتي منها أنهم يستهزؤون بالجسد(فريدريك، ١٨٨٣)، وهو ما رفضه نيتشه باعتباره لا يؤدي إلى مطلع الإنسان المتفوق، وذهب إلى أن كل من يدعي الطيبة، ما هو إلا عاجز تماما عن أن يتخذ تجاه أمر ما وجهة نظر أخرى غير وجهة النظر الكاذبة بخسة، الكاذبة بعمق(فريدريك، ١٩٩٣).

حيث بدأ من التمرد، وأجراء القساوة، وسوء المعاملة التي يقدمها لأسيادهم، وعدم قدرة العبيد على تحمل ذلك، فيصبح الحقد أخلاقاً إلى درجة خلق قيم جديدة، فكل أخلاق أرستقراطية تنتج من تأكيد ذاتها توجه نحو الرفض كل ما يشكل جزءاً من كيانها الذاتي، وهذا الرفض هو فعلها الخلاق أذن هذا هو قلب النظرية التقديرية، حيث يستدعي بضرورة العالم الخارجي بدلاً من الاتكال على الذات نفسها، وهذا ينتمي إلى الحقد، فالأخلاق تحتاج إلى عالم مواجهة لها وخارج عنها(فريدريك، ١٩٩٣).

وتدخل حكاية السيد والعبد في دائرة تاريخية لتدور مع دورات الزمن، الذي يشكل عند نيتشه فكرة العود الأبدي، أذ ما توغلنا في نفسية العبد نجد انه تحت عنوان الحقد، حيث تتولد عنده المفاهيم التالية:

١. **النسيان:** هو ملكة عرقلة وتعطيل، أنها الملكة المسؤولة عن كل ما يحدث لنا في الحياة من نسيان واستيعاب، ويمثل هذا القدر أو ذاك أمام وعينا أبان الهضم التي تحدث لا جسامنا في أثناء عملية التمثيل الغذائي(فريدريك، ١٩٩٣).

٢. **التذكر أو الذاكرة:** وهي الملكة التي يراد بها في بعض الحالات أن يحيط وظيفة النسيان، وهي الجهة المعاكسة للملكة النسيان، وهي ليست قضية سلبية منفصلة استحالة الخروج من الانطباع الذي يخلقه العبد، وهي قضية إرادة فعاله إيجابية سلبية لحفظ الاستمرارية في الإرادة (فريدريك، ١٩٩٣).هكذا انتهى نقد نيتشه لأخلاق السيد والعبيد.

الخاتمة

نشأ التفكير الفلسفي من كثرة تساؤلات الإنسان وفضوله ودهشته إمام مواضيع تخص العالم الواقع، وما تطرأ عليه من تغيرات، من خلال هذا التفكير وما يحدث في الكون قام على عدة فرضيات لتفسير أصل الكون، منهم من افترض بأنه ثابت ومنهم من افترض بأنه متغير، فاختلفت هذه الفرضيات من فيلسوف إلى أخر ومن عصر إلى أخر، انعكس هذا التصور على عقل الإنسان، بأن الطبيعة البشرية جانباً منها ثابت ابدي لا يتغير، لذلك أن الإنسان منذ بداية التاريخ الفلسفي إمام فكر يفترض جوهر ثابت للأشياء. وجه نيتشه إلى الدين نقداً عنيفاً ولاذعاً، فقد وقف وجهاً لوجه ضد المسيح، ممثلاً الدعوة الإيجابية إلى الحياة في مقابل الدعوة السلبية التي تمثل التخلي عن الحياة، فقد شكلت المسيحية عقدة لازمت نيتشه منذ ولادته حتى مماته، إذ أن نيتشه لم يترك مؤلفا من مؤلفاته ولم يذكر المسيحية فيه، فقد كان نقده للمسيحية نقد مبني على أساس ألغاء الثقافة التي تدخل في جميع مفاصل الحياة الغربية، أذ أن نيتشه وجه اشد نقده وغضبه إلى المسيحية، عدها مصدر الانحطاط والتخلف، واعتبرها سرطان قد أصيب به المجتمع الغربي في جميع العصور وصلاً إلى المعاصرة.

المصادر

١. مصطفى غالب،(١٩٨٨)، نيتشه، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت.
٢. فريدريك نيتشه، (٢٠١٤)، إنساني مفرط في إنسانيته، ج١، ترجمة: علي مصباح، منشورات الجمل، بيروت، بغداد.
٣. فريدريك نيتشه،(٢٠١٥)، ما وراء الخير والشر، ترجمة: علي مصباح، منشورات الجمل، بيروت، بغداد.
٤. قيس هادي احمد(٢٠٠٠). دراسات في الفلسفة العلمية والإنسانية، دار الكتب والوثائق، بغداد.
٥. عبد الله عبدالهادي، المرهج، (٢٠١٢)، نقد المركزيات في فلسفة نيتشه، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر.
٦. فريدريك نيتشه، (١٩٩٦) أفول الأصنام، حسان بورقية ومحمد ناجي، افريقيا الشرق.
٧. فريدريك نيتشه، (٢٠١١)، نقيض المسيح، ترجمة: علي مصباح، منشورات الجمل للطباعة والنشر، بيروت، بغداد.
٨. صفاء عبد السلام علي جعفر، (١٩٩٩).محاولة لقراءة فريدريش نيتشه، دار المعرفة الجامعية.

٩. فريدريك نيتشه، العلم المرح، ترجمة: علي مصباح، منشورات الجمل، بيروت، بغداد.
١٠. جيل دولوز،(١٩٩٣)، نيتشه والفلسفة، ترجمة: أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع.
١١. جيل دولوز، (١٩٩٨)، نيتشه، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت.
١٢. فريدريك نيتشه، (٢٠١٤)، إنساني مفرط في إنسانيته، ج١، ترجمة: علي مصباح، منشورات الجمل، بيروت، بغداد.
١٣. فريدريك نيتشه،(١٨٨٣)،هكذا تكلم زرادشت، منشورات الجمل للنشر والتوزيع، بيروت.
١٤. ول ديو رنت،(١٩٨٨)، قصة الفلسفة، مكتبة المعارف، بيروت.
١٥. عبد الرحمن بدوي، (١٩٨٤)الموسوعة الفلسفية، ج٢، المؤسسة العربية للدراسة والنشر.
١٦. عبد الرحمن بدوي(١٩٧٥)، نيتشه، وكالة المطبوعات للنشر.
١٧. الطويل، توفيق الطويل، فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها، دار النهضة العربية، القاهرة.
١٨. فريدريك نيتشه، (١٩٩٣)، اصل الأخلاق وفصلها، ترجمة: حسن القبيسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.

Reference:

1. Abd al-Rahman Badawi (1975), Nietzsche Press, Publication Agency.
2. Abdel Rahman Badawi, (1984) The Philosophical Encyclopedia, Part 2, The Arab Foundation for Study and Publishing.
3. Abdullah Abdel-Hadi, Al-Merhej, (2012), Critique of the Centrals in Nietzsche's Philosophy, Ibn Nadim for Publishing and Distribution, Algeria
4. Al-Tawil, Tawfiq Al-Tawil, Philosophy of Morals, Its Origin and Development, Dar Al-Nahda Al-Arabiya, Cairo.
5. Friedrich Nietzsche, (1883), Thus Spoke Zarathustra, Al-Jamal Manuscripts for Publishing and Distribution, Beirut.
6. Friedrich Nietzsche, (1993), The Origin of Ethics and its Chapter, translated by: Hassan Al-Qubaisi, University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, Beirut.
7. Friedrich Nietzsche, (1996) The Fall of the Idols, Hassan Borkia and Mohamed Nagy, East Africa.
8. Friedrich Nietzsche, (2011), Antithesis of Christ, translated by: Ali Mesbah, Al-Jamal Publications for Printing and Publishing, Beirut, Baghdad.
9. Friedrich Nietzsche, (2014), An Exaggerated Humane, Part 1, translated by: Ali Mesbah, Al-Jamal Publications, Beirut, Baghdad.
10. Friedrich Nietzsche, (2014), An Exaggerated Humanist, Part 1, translated by: Ali Mesbah, Al-Jamal Publications, Beirut, Baghdad.
11. Friedrich Nietzsche, (2015), Beyond Good and Evil, translation: Ali Mesbah, Al-Jamal Publications, Beirut, Baghdad.
12. Friedrich Nietzsche, The Fun Science, translated by: Ali Mesbah, Al-Jamal Publications, Beirut, Baghdad.
13. Gilles Deleuze, (1993), Nietzsche and Philosophy, Translated by: Osama Al-Hajj, University Foundation for Studies, Publishing and Distribution.
14. Gilles Deleuze, (1998), Nietzsche, University Studies and Publishing Foundation, Beirut.
15. Mustafa Ghaleb, (1988), Nietzsche, publications of the Crescent Library House, Beirut.
16. Qais Hadi Ahmed (2000). Studies in Scientific Philosophy and Humanism, House of Books and Archives, Baghdad.
17. Safa Abd al-Salam Ali Jaafar (1999) An attempt to read Friedrich Nietzsche, House of University Knowledge.
18. Well Die Rent, (1988), The Story of Philosophy, Knowledge Library, Beirut.